فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يـــقـــدم

من سلسلة " كيف تتلذذ بعبادتك؟"

لذة ترك المعصية في الخلوة

لفضيلة الشيخ : مشاري الخراز

رابط المـادة : www.way2allah.com/khotab-item-76806.htm

بسم الله الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، ثم أما بعد:

من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه

كان لأحد الخلفاء مؤذن يُؤذن له في قصره في أوقات الصلاة، فمرت بالمؤذن جارية الخليفة فنظر إليها هذا المؤذن مرة من المرات وهو بشر في النهاية يخطئ، المهم أن هذه الجارية ذهبت إلى الخليفة فقالت: يا أمير المؤمنين إنَّ فلانًا المؤذن مررت به فنظر إليَّ!

وكان هذا الخليفة من أشد الناس غيرة فأراد أن يأمر بقتل المؤذن ثم فكر وقال للجارية: تزيني وتطيبي واذهبي إليه فقولي له "علمت أنك نظرت إليَّ وبقلبي منك أكثر مما بقلبك مني فإن أردت مكَّنتك من نفسي ماتريد وأمير المؤمنين غافل الآن فإن لم تفعل فلن أرجع إليك أبدًا" وفعلًا ذهبت الجارية للمؤذن ثم قالت ما أمرها به الخليفة.

فرفع المؤذن بصره إلى السماء وقال: "يا جليل أين سترك الجميل، يا جليل أين سترك الجميل؟ "ثم نظر إليها وقال: اذهبي ولا ترجعي أبدًا فعسى أن نلتقي بين يدي الله تعالى يوم القيامة فرجعت الجارية للخليفة وأخبرته الخبر فأمر الخليفة أن توهب الجارية للمؤذن يعطيها إياه وفوقها خمسون ألف درهم ينفقه عليها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنك لَن تدَع شيئًا للهِ عزَّ وجلَّ إلا بدَلك اللهُ به ما هو خيرٌ لكَ منه" صححه الألباني صلى الله على نبينا محمد.

لذة ترك المعصية

أخي الكريم أختي الكريمة: فعل المعصية في الخلوة له لذة، إلا أن تركها لله مع قدرتك عليها فيه لذة أكبر بكثير بل لذة المعصية لا تقارن بلذة الطاعة، فلما لا نترك اللذة الأعلى من أجل تحصيل اللذة الأدنى؟ قد يقول قائل: أنا أخطأت في السابق بل أنا منذ سنوات وأنا أفعل المعصية وحدي في الخلوة وليس معي أحد إلا الله، آخذ أموالًا لا تصح لي أن آخذها، أغش في الاختبارات، أعاكس بالهاتف، ماذا أفعل الآن؟ الجواب: طبعًا التوبة، لكن يمكنك أيضًا أن تفعل شيئًا ذكيًا آخر.

إذا عصيت الله في الخلوة فقُم بطاعته في الخلوة

إذا عصيته وأنت وحدك فحاول أن تطيعه بالخلوة فكما أنك عصيت بالخلوة عندما لم يكن يراك أحد فاحرص أن تطيعه عندما تكون وحدك حيث لا يراك أحد، قال الله تعالى: "إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ"هود: ١١٤ مثل ماذا؟

يعني مثلًا تصدق بالسر، قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: "صَدَقَةُ السِّرِّ تُطفِئُ غَضبَ الرَّبِ" صححه الألباني، اركع بعض الركعات من قيام الليل، اعمل عمل خير ولو كان بسيطًا، ولو كان إطعام حيوان مثلًا ولكن بالسر لا يعلم بذلك أحد فقد كان الصالحون يستحبون أن يكون للرجل عمل صالح مُخبأ لا يعلم به أهل بيته ولا زوجته ولا أحد.

تُعرض عليك معصية الخلوة مرة أخرى بعد التوبة ليختبر الله صدقك

ولكن هل تظن أنك إذا تُبْت من معصية معينة كنت قد فعلتها بالخلوة، هل تظن أنها لن تمر عليك مرة أخرى؟! مستحيل، قال بعض العلماء: "ما من تائب يتوب من معصيةٍ وإلا عُرضت عليه نفس المعصية ولكن بالخلوة ليختبره الله تعالى هل هو صادق في توبته أم أنه ضعيف فيها" فإذا عُرضت عليك في المستقبل هذه المعصية وأنت وحدك وتستطيع أن تفعلها فهذه فرصة لك الآن لكي تمسح ذنوبك، قال الله تعالى في سورة الملك: "إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ" الملك: ١٢

ولاحظ أنَّ الله ذكر هذه الآية مباشرةً بعد أن وصفَ النار وكأن مخافة الله بالخلوة هي النجاة من تلك النار، فإذا نجوت من النار فأين ستذهب؟

فضل حسن العبادة في الخلوة:

١- الجنة

طبعًا سيقول كل الناس إلى الجنة طبعًا، هل كنت تظن أنها جنة واحدة فقط؟ لا، الذي يخاف من ربه لا يحصل على جنة واحدة بل يحصل على جنتين اثنتين، الناس عندهم جنة واحدة وهو يملك جنتين اثنتين، قال الله تعالى: "وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ" الرحمن: ٤٦

يقول بعض الصالحين: "كم من معصيةٌ منعتني منها هذه الآية، كم معصية في الخفاء منعتني منها هذه الآية، قال تعالى: "وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ" الرحمن: ٤٦

قصة بن عمر –رضي الله عنهما– وراعي الغنم

قال نافع خرجت مع ابن عمر في بعض نواحي المدينة مع أصحاب لهم فوضعوا سفرة طعام فمر بهم راعي غنم فقال له ابن عمر "هلم يا راع تناول معنا الطعام"، فقال الراعي: إني صائم، فقال له عبد الله بن عمر "في هذا اليوم شديد الحر وأنت بين الجبال ترعى الغنم" فقال الراعي أبادر أيامي الخالية كما قال تعالى: "كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ" الحاقة: ٢٤

فعجب ابن عمر من جوابه فقال للراعي "هل تبيعنا شاة من غنمك نذبحها ونطعمك من لحمها؟" –يعني تفطر فيها ونعطيك ثمنها– فقال الراعي: إنها ليست لي، إنها لسيدي فأراد ابن عمر أن يختبره فقال له: "اذبحها وقل له أكلها الذئب" فرفع الراعي إصبعه إلى السماء وقال فأين الله؟ يقول فكان ابن عمر يردد هذه الكلمة يقول: قال الراعي أين الله؟، قال الراعي أين الله؟، يقولوا حتى وصل المدينة، قال الراعي أين الله؟

فبحث عبد الله بن عمر عن سيد الراعي فاشترى منه الراعي والغنم فأعتق الراعي ووهب الغنم للراعي–رضي الله عنه وأرضاه–

الخلوة بالله غنيمة

الخلوة بالله غنيمة ليس كل الناس يحسن التصرف فيها، ليس كل الناس يفوز فيها، والله لا أخفيكم أنا الآن أخشى أن أستمر في ذكر فضل حسن العبادة في الخلوة فتظن أني أبالغ وأنا والله لم أبالغ، هذا هو كتاب الله وهذه سنة النبي –صلى الله عليه وعلى آله وسلم–، ولا يوجد شيء من عندي، أتدري أن الإنسان إذا استمر على خشية الله تعالى في الخلوة عندما يكون وحده إذا استمر على ذلك أتدري ماذا سيرى أمامه؟

٢– التمتع بالنظر إلى وجه الله

سيرى الله! سيرى الله تعالى بجماله وجلاله وجمال صفاته يوم القيامة كما أنه يشاهد البدر هنا في الدنيا، عندها سيشعر بلذة في صدره ما أحس بها منذ أن ولدته أمه، أجمل وألذ وأحلى شعور ممكن أن يمر عليك في الحياة الدنيا وفى الحياة الآخرة هو شعور اللذة برؤية الله تعالى، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول في دعائه: "وأسألُك لذَّةَ النَّظرِ إلى وجهِك الكريمِ" صححه الألباني

أي شيء أجمل من أن يكون الله الذي لا إله إلا هو متجليًا لكَ قد كشف لكَ عن الحجاب وحجابه النور سبحانه؟! فينظر العبد إلى الله تعالى نظرة لم يسبق لها مثيل، كل هذا لأني خشيته في الخلوة؟!، كل هذا؟! طبعًا هو الذي حكم بذلك سبحانه، قال تعالى في سورة ق: "مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ" ق:٣٣ ماذا سيحدث له؟ قال تعالى: "ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُود * لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ" ق٣٤:٣٥ أتدري ما هو المزيد؟

المزيد هو رؤية الله تعالى كما ذكر ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، لاحظ معي كيف أن الجزاء من جنس العمل، لاحظ، لما ترك العبد المعصية أثناء الخلوة لأن الله ينظر إليه.. رزق الله تعالى العبد يوم القيامة النظر إليه، الله أكبر!

طاعات السر أفضل

ولا تظن أن ترك المعصية هو الشيء الوحيد الفاضل في السر عندما تكون وحدك، لا، حتى الطاعات في السر تكون أفضل؛ لأن صورتك أمام الله تعالى في الخلوة تختلف تمامًا عن صورتك أمامه إذا كنت بين الناس، فإذا كنت تحصل مقابل عبادة معينة كمية معينة من الحسنات مثلًا نفس العبادة لو فعلتها في الخلوة لوحدك لحصلت على حسنات أكثر، فعلى الإنسان الذكي أن يعرف قيمة الخلوة

استثمر كل دقيقة لشحن رصيد الآخرة

فإذا كنت وحدك فاستثمر كل دقيقة في شحن رصيدك في الآخرة، اشتريلك جنة، جنتين تفرح بهما يوم القيامة، يعني نقول شيء من الأذكار، نصلي ركعتين لا يعلم بهما أحد، المهم أن نتحرك قليلًا، صدقني حتى أن الدمعة تفرق، بكاء العبد من خشية الله عمومًا له أجر فإذا حدث هذا البكاء في الخلوة رزق الله تعالى العبد أجرًا أكثر

بحيث يدخله تحت ظل عرش الرحمن يوم القيامة يوم لاظل إلا ظله،

قال رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم–: "سبعةٌ يُظِلُّهمُ اللهُ في ظِلِّه يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّه" صحيح البخاري، ثم ذكر منهم "ورجلٌ ذَكَر اللهَ خاليًا، ففاضَتْ عيناه" صحيح البخاري.

٣– ثواب وأجر لا يعلمه إلا الله

هؤلاء الذين يتعبدون في الخلوة يحضر الله لهم تعالى مفاجأة لم يكشف عنها سبحانه، قال تعالى عن الذين يتعبدون في الخلوة: "فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ "السجدة:١٧ أعد الله لهم مفاجأة!، ما هي هذه المفاجأة؟ لا أدري والله.

هو قال سبحانه "فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ" فعلًا مفاجأة لا أعرف يعني، لكني أنا عن نفسي متأكد أنها مفاجأة جميلة ورائعة لأنه سبحانه جميل يحب الجمال واختياراته دائما تكون جميلة مثله سبحانه هو عودنا على ذلك.

ولكن لاحظ كيف أنهم أخفوا عباداتهم فأخفى الله جزاءهم، هذه زيادة في التشويق، زيادة في السعادة، والجزاء من جنس العمل، أهل المحبة الذين طالموا تعبدوا الله بالخلوة ينتظرون هذه المفاجأة على أحر من الجمر؛ لأنهم يعلمون أن الله تعالى سيفرح بإعطائها لهم وهم يحبون فرحه سبحانه، يحبون الشيء الذى يحبه هو سبحانه فاستغل هذه الخلوة قدر المستطاع.

لا تجعل الله أهون الناظرين إليك

وإياك إياك أن تكون أول الخاسرين في الخلوة، إياك أن تكون من هؤلاء الذين إذا حصلت لهم الخلوة بالله فإن أول شيء يفعلونه له سبحانه هو أن يعصوه، انتبه! لايكن الله تعالى في قلبك هو أهون من ينظر إليك إنه عزيز يستحي منا فمن باب أولى أن نستحي نحن منه.

دعاء الخاتمة

اللهم اقسم لنا من خشيتك ماتحول به بيننا وبين معصيتك، ومن طاعتك ماتبلغنا به جنتك، ومن اليقين ماتهون به علينا مصائب الدنيا، اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا، اللهم إنا نسألك أن ترزقنا لذة النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة، اللهم إنا نسألك أن تجمعنا بحبيبنا نبينا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ننظر إليه ونحادثه ونجتمع معه في الفردوس الأعلى، اللهم آمين نحن وإياكم ومن تحبون والحمد لله رب العالمين.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس في منتديات الطريق إلى الله تفضلوا هنا:

http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36